آفاق عدم الانتشار النووى في ظل تعليق الكرملين لمعاهدة ستارت الجديدة

(بقلم خبير، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء، 9 يوليو 2023)

د. نورهان الشيخ*

أثار إعلان الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، فى 21 فبراير، تعليق مشاركة روسيا في معاهدة الأسلحة الهجومية الاستراتيجية "ستارت-3" الكثير من المخاوف حول مستقبل جهود حظر الانتشار النووى التى استمرت على مدى ما يزيد عن نصف قرن. فقد كانت معاهدة "ستارت -3"، المعاهدة الأخيرة المتبقية بين روسيا والولايات المتحدة، والمتعلقة بخفض ومراقبة الأسلحة النووية بين أكبر قوتين نوويتين.

تعودة المعاهدة إلى عام 2010 عندما تم توقيعها بين الرئيسين (آنذاك) الروسي ديميتري مدفيديف، والأمريكي، باراك أوباما، في العاصمة التشيكية براج، ودخلت حيز التنفيذ في 5 فبراير 2011، بعد المصادقة عليها، وحُددت مدتها بـ 10 سنوات، قابلة للتمديد 5 سنوات إضافية. وتتألف المعاهدة من ثلاثة أجزاء، وهي نص المعاهدة، والبروتوكول، والملاحق الفنية، وجميعها ملزمة قانوناً، ويتضمن نص المعاهدة والبروتوكول، حقوق الطرفين وواجباتهما الأساسية، بما فيها تبادل المعلومات بينهما للتحقق من الامتثال لبنود المعاهدة. وتنص معاهدة "ستارت -3"، على خفض كمية الرؤوس الهجومية "النووية" العابرة للقارات، التي تمتلكها كل من روسيا والولايات المتحدة بنسبة 30%، وكذلك خفض الحدود القصوى لمنصات الإطلاق الاستراتيجية بنسبة 50%، وتمت صياغتها على أساس التساوي في عدد الرؤوس النووية، وضمان أمن كلا البلدين بشكل متكافئ. وحددت الاتفاقية نوعية وكمية الأسلحة التي يمكن للبلدين امتلاكها بعد 7 سنوات من توقيعها، بحيث لا يتجاوز عدد الرؤوس النووية في كلا البلدين، الـ 700 رأس نووي في القواعد الأرضية، و1550 رأسا نوويا في القواعد البحرية والجوية البحرية، كما تنص على أن لا يتجاوز عدد المنصات الأرضية الثابتة والمتنقلة لإطلاق الصواريخ النووية الـ 800 منصة. ويمتلك الطرفان بموجب المعاهدة، حرية تحديد هيكل الثالوث النووي، مزيج من ناقلات جوية وبحرية وبرية، ونشر أنواع جديدة أخرى من الصواريخ والناقلات، شريطة أن يخطر كل منهما الآخر[1].

* أستاذ العلاقات الدولية، جامعة القاهرة.

مـع انتهـاء المعاهـدة عرضـت روسـيا علـى واشـنطن تمديـدها، دون شـرط أو قيـد، والبـدء بتجميـد عمـل الترسـانات النوويـة إلـى حـين إتمـام الاتفـاق بـين الطـرفين، الأمـر الـذي رفضـته إدارة ترامـب بذريعـة أنـه لا يصـب فـي مصـلحة الأمـن القـومي الأمريكـي، واصـرت علـى أن تمتـد المعاهـدة لتشـمل منظومـات روسـية جديـدة لـم تكـن موجـودة عنـد توقيعهـا. وفـي ينـاير 2021، أعلـن جـو بايـدن موافقتـه علـى المقتـرح الروسـي، بتمديـد معاهـدة "سـتارت –3"، والتفـاوض مـع روسـيا حـول التفاصـيل، وبـدأت اللقـاءات بـين الطـرفين، وتـم التوصـل إلـى اتفـاق يـنص علـى تمديـدها مـدة 5 سـنوات إضـافية، إلا أن المصادقة لم تتم، بسبب توقف المباحثات مع بدء العملية العسكرية الروسية الخاصة في أوكرانيا.

فـى هـذا السـياق، تنطـوى الخطـوة الروسـية الخاصـة بتعليـق العمـل بالمعاهـدة مـن جانـب واحـد علـى مخـاطرة وتهديـدات عـدة. أولهـا تقـويض الثقـة بـين أكبـر قـوتين نـوويتين فـى العـالم، واللتـان تـتحملان المسـؤولية عـن الاسـتقرار الاسـتراتيجي العـالمى. فقـد تطـور نظـام الحـد مـن التسـلح وحظـر الانتشـار النـووى فـى إطـار إجـراءات لبنـاء الثقـة بـين موسـكو وواشـنطن، والتـى بـدأت فـى سـتينيات القـرن الماضـى باتفاقيـة "سـولت 1" الشـهيرة مطلـع السـبعينات، وكُللـت باتفاقـات "سـتارت 1" عـام 1991، وتأكـدت مـع "سـتارت 2"، ثـم "سـتارت 3". وأعتبـرت الأخيـرة إنجـازاً غيـر مسـبوق بـالنظر إلـى تجاوزهـا مجـرد تخفـيض حجـم الترسـانة النوويـة للطـرفين، إلـى نظـام تفتـيش متبـادل يـدعم الثقـة بينهمـا ويمثـل رافـداً لتعزيـز التعـاون فـى مجـال منـع الانتشـار النـووى وغيـره مـن المجـالات المتعلقـة بالسـلم والأمـن الـدوليين حيـث تتشـكل بموجـب الاتفاقيـة لجـان مشـتركة مـن كـلا البلـدين تقـوم بعمليـات التفتـيش داخل القواعد العسكرية التي تتواجد فيها الأسلحة الاستراتيجية بمعدل 18 عملية تفتيش سنويا.

كمـا كانـت المعاهـدة علامـة بـارزة لنهايـة الحـرب البـاردة ومـا صـاحبها مـن رعـب نـووى وتهديـدات بنشـوب حـرب عالميـة ثالثـة، نوويـة بالضـرورة، تفنـى العـالم والبشـرية بأسـرها، ليعـود بتعليقهـا شـبح المواجهـة النوويـة. عـزز مـن ذلـك التصـعيد بـين موسـكو وواشـنطن علـى خلفيـة الأزمـة الأوكرانيـة، وتكـرار الحـديث عـن احتمـال لجـوء موسـكو لإسـتخدام أسـلحة نوويـة تكتيكيـة فـى أوكرانيـا. ومـن المعـروف أن العقيـدة النوويـة الروسـية الصـادرة فـى 2 يونيـو 2020 تجيـز لموسـكو الحـق فـي اسـتخدام الأسـلحة النوويـة رداً علـى اسـتخدام الأسـلحة النوويـة وأنـواع أخـرى مـن أسـلحة الـدمار الشـامل ضـدها و (أو) ضـد حلفائهـا، وكـذلك فـي حالـة حـدوث عـدوان ضـد روسـيا باسـتخدام الأسـلحة التقليديـة يمثل تهديداً لوجود الدولة الروسية.[2]

ثانيهـا، تجـدد سـباق التسـلح النـووى خاصـة مـع التوجهـات السـابقة لتحـديث الثـالوث النـووى (البـرى والجـوى والبحـرى) لكـلا البلـدين، وإحـداث قفـزات نوعيـة بترسـاناتهما النوويـة. ففـى 9 ديسـمبر 2022 أعلـن وزيـر الـدفاع الأمريكـي، لويـد أوسـتن، عـن خطـط لتحـديث الثـالوث النـووي للقيـادة الإسـتراتيجية "سـتراتكوم" للقـوات المسـلحة الأمريكيـة، ويتضـمن ذلـك اعتمـاد غواصـات مـن طـراز كولومبيـا وصـواريخ سـينتينيل الباليسـتية العـابرة للقـارات، وزيـادة وتيـرة الاختبـارات والبحـث فـى مجـال الصواريخ فرط الصوتية للحاق بروسيا والصين فى هذا الاطار[3].

يـأتى هـذا فـى إطـار العقيـدة النوويـة الأمريكيـة الجديـدة الصـادرة فـى27 أكتـوبر 2022،[4] التـى أعـادت التأكيـد علـى مـا تضـمنته سـابقتها الصـادرة فـى ينـاير 2018 بشـأن تحـديث القـدرات النوويـة الأمريكيـة، وكانـت الأخيـرة قـد تضـمنت عـزم واشـنطن زيـادة الإنفـاق علـى ترسـانتها النوويـة لأكثـر مـن ضـعفين مـع تخفيـف القيـود المفروضـة علـى اسـتخدام السـلاح النـووي. وتحـديث "الثـالوث النـووي" للولايـات المتحـدة الـذي يتضـمن الطيـران الاسـتراتيجي والصـواريخ الباليسـيتية العـابرة للقـارات والغواصـات الحاملـة للـرؤوس النوويـة، وزيـادة عـدد القنابـل النوويـة المنخفضـة القـوة مـن أجـل تعزيـز قـدرة الولايـات المتحـدة علـى الـردع النـووي، علمـا أن القـوات المسـلحة الأمريكيـة تملـك أكثـر مـن ألـف قطعـة مـن هـذا السـلاح، ومـن المعـروف أن القنابـل النوويـة التـي أسـقطتها واشـنطن علـى مـدينتي هيروشـيما وناجـازاكي اليابـانيتين فـي 6 و9 أغسـطس 1945، كانـت "منخفضـة القـوة". هـذا إلـى جانـب تقلـيص قـوة القنابـل النوويـة مـع زيـادة مـداها، وعلـى وجـه الخصـوص، تزويـد الصـواريخ الباليسـتية النوويـة العـابرة للقـارات مـن طـراز Trident المثبتـة علـى الغواصـات النوويـة بـالرؤوس النوويـة الجديـدة، وهـو مـا يتـيح تحويـل تلـك الصـواريخ إلـى سـلاح نـووي تكتيكـي. ممـا دفـع الـبعض لوصـف العقيـدة النوويـة الأمريكيـة باسـتراتيجية "حـرب نوويـة محـدودة" حيـث تعتمـد علـى توجيـه ضـربة نووية على نطاق ضيق دون إلحاق "ضرر مدمر" في الولايات المتحدة.

تتميـز الأسـلحة النوويـة التكتيكيـة فـي معظـم الأحيـان بحجمهـا ومـداها واسـتهدافها لأهـداف عسـكرية محـدودة دون سـحق المنطقـة بأسـرها والتسـبب فـي تـداعيات إشـعاعية واسـعة النطـاق. والسـلاح التكتيكـي قصـير المـدى يكـون مـزودا بـرؤوس نوويـة صـغيرة تـدعم نظـام توجيـه ورأسـا حربيـا قويـا. ويبلـغ مـدى الأسـلحة النوويـة التكتيكيـة، أقـل مـن 500 كيلـومتر بـرا، وتصـل إلـى 600 كيلـومتر جـوا وبحـرا. وتنقسـم الأسـلحة النوويـة التكتيكيـة مـن حيـث القـوة إلـى نـوعين، الأولـى تفـوق قوتهـا القنبلـة التـي سـقطت علـى هيروشـيما، وهنـاك أسـلحة أخـرى لا تزيـد قوتهـا التدميريـة علـى دُفعـة نيـران مدفعيـة.

ويمكن تحميل الرؤوس الحربية النووية التكتيكية على أنواع مختلفة من الصواريخ التي تحمل عادة رؤوسا تقليدية مثل الصواريخ المجنحة وقذائف المدفعية. ووفقا للاستخبارات الأمريكية تمتلك روسيا حوالي 2000 سلاح نووي تكتيكي.

فى السياق نفسه تعمل روسيا على تطوير قدراتها النووية، وتعتمد القوات النووية الاستراتيجية الروسية على أنظمة أرضية ثابتة ومتحركة من الصواريخ الباليستية العابرة للقارات، وغواصات الصواريخ الاستراتيجية، والقاذفات الاستراتيجية المجهزة بصواريخ كروز الاستراتيجية جو–أرض والقنابل الجوية. وأعلن الرئيس بوتين خلال اجتماع موسع مع قيادات وزارة الدفاع فى 21 ديسمبر 2022 استكمال تحديث الثالوث النووى الروسى بنسبة 90%، وأكد عزم روسيا الاستمرار فى هذا التطوير لاسيما الصواريخ البالستية الفرط صوتية،[5] وتتسلح قوات الصواريخ الاستراتيجية بـ 5 أنواع من الصواريخ الباليستية العابرة للقارات: "يارس24–RS"، "ساتانا" (الشيطان)، "توبول2PM–RT"، "سارمات28–RS"، "أفانجارد"، إلى جانب الصاروخ "تسيركون" فرط الصوتي، و"كاليبر" المجنح، و"بولافا". كما تعمل موسكو على بناء 10 غواصات نووية (بوريه) إضافية بحلول عام 2027 لتعزيز أسطولها النووى الذى يضم 11 غواصة نووية. وفى 27 مارس أعلنت موسكو أن عملية بناء بنية تحتية ساحلية في المحيط الهادئ ستنتهي في بداية عام 2024، وذلك لنشر الغواصتين ذواتي المهام الخاصة بيلجورود وخاباروفسك، والقادرتان على حمل طوربيدات بوسيدون المُسيّرة والمزودة برؤوس حربية نووية.

ثالثها، دعم التوجه نحو نشر أسلحة وتكنولوجيا نووية فى دول غير نووية. من أهم بنود معاهدة "ستارت 3" هو ذلك المتعلق بحظر نشر أسلحة استراتيجية هجومية، خارج نطاق الحدود الجغرافية لكلا البلدين. وقد يؤدى تعليق المعاهدة والتحرر من الإلتزامات المنصوص عليها إلى مخاطر نشر أسلحة نووية فى دول غير نووية حليفة.

فقد أعلن الرئيس بوتين، فى 25 مارس 2023 نشر أسلحة نووية تكتيكية على أراضي بيلاروس،[6] ومن المعروف أن كلا من روسيا وبيلاروس يجمعهما صيغة كونفدرالية تتمثل فى دولة الوحدة، كما أن كلاهما عضو فى منظمة معاهدة الأمن الجماعى، وهى حلف عسكرى تقوده روسيا ويضم خمس دولة إلى جانبها من الفضاء السوفيتى السابق. وقد تم بالفعل إرسال عشر مقاتلات روسية إلى مينسك تستطيع حمل أسلحة نووية تكتيكية، وبدء الخبراء الروس تدريب الأطقم البيلوروسية عليها فى 3 أبريل، وسينتهى إنشاء مستودع خاص بالأسلحة النووية التكتيكية

الروسية في بيلاروس في الأول من يوليو المقبل. وتتضمن الأسلحة النووية التكتيكية التي تنشرها روسيا في بيلاروس الصواريخ الجوية المزوّدة برؤوس نووية وستحملها الطائرات العشر التى ستتبع سلاح الجو البيلاروسي، وسيتم تجهيز تلك الطائرات لتكون قادرة على حمل السلاح النووي، ويبلغ مدى عمل تلك الصواريخ 2500 كيلومتر، بالإضافة إلى منصات منظومة "إسكندر" العملياتية التكتيكية التي يصل مدى صواريخها مسافة 2500 كيلومتر أيضاً، وباستطاعة الرأس القتالية التي يحملها صاروخ "إسكندر" أن تحدث انفجاراً بقوة 50 كيلوطن، أى ما يزيد بمقدار نحو 3 أضعاف عن قوة القنبلة التي تم إسقاطها على هيروشيما اليابانية عام 1945، وتمتلك الصواريخ الجوية المواصفات نفسها تقريبا. وقد يمتد الأمر إلى نشر روسيا سلاح نووي استراتيجي فى بيلاروس، إضافة إلى السلاح النووي التكتيكي يدعم ذلك كون الأخيرة لا تزال تحتفظ بأكثر من 80 منصة ثابتة تحت الأرض للصواريخ الباليستية العابرة للقارات في حالة تقنية جيدة.

كان الرئيس البيلاروسى، ألكسندر لوكاشينكو، قد طلب مرارا من روسيا نشر أسلحة نووية على أراضي بلاده كجزء من عملية ردع عسكري ضد حلف شمال الأطلسى (الناتو)، مؤكداً أن مينسك تعرضت على مدار السنوات الأخيرة لضغوط من الولايات المتحدة وبريطانيا ودول أوروبية، وأن هذه الضغوط طالت الداخل البيلاروسي، في إشارة إلى سعي الدول الغربية لإسقاط نظامه، واستبداله بأخر موالي للغرب عبر ثورة ملونة، حيث شهدت بيلاروس احتجاجات قادتها المعارضة في أغسطس 2020، وذلك بعد فوز الرئيس لوكاشينكو، بأكثر من 80% من الأصوات، وقامت المرشحة الرئاسية والمعارضة سفيتلانا تيخانوفسكايا، بالاحتجاج على نتيجة الانتخابات، وتحريك احتجاجات في الشارع البيلاروسي، وهي الاحتجاجات التي تم قمعها بعد اتهام الغرب بالوقوف خلفها، فضلاً عن طرد تيخانوفسكايا خارج البلاد، والتي بدورها حصلت على دعم غربي.

من ناحية أخرى، تؤكد موسكو أن نشر مثل هذه الأسلحة فى بيلاروس لا يتعارض مع نظام عدم الانتشار النووي، وإنه جاء كرد فعل لاتخاذ واشنطن ترتيبات مماثلة مع العديد من حلفائها الأوروبيين، حيث قامت بتخزين 100 سلاح نووي أمريكي في ست قواعد عسكرية أمريكية في خمس دول أوروبية، فضلاً عن إعلان بولندا إمكانية استضافتها أسلحة نووية أمريكية، في أكتوبر 2022. كما أعلنت بريطانيا عزمها إمداد أوكرانيا بذخيرة اليورانيوم المنضب، والتى وإن كانت لا تعتبر من أسلحة الدمار الشامل، إلا إنها تترك غبارا مشعا، وبالتالي فهي خطيرة جدا. وحذر

الـرئيس لوكاشـينكو مـن إنـه "إذا زودت بريطانيـا كييـف بـاليورانيوم، سـتزود موسـكو مينسـك بيورانيـوم حقيقي[7]."

يضـاف إلـى هـذا، أن الشـراكة الدفاعيـة بـين الولايـات المتحـدة وأسـتراليا وبريطانيـا، التـى تـم إعلانهـا فـي 15 سـبتمبر 2021، "أوكـوس"، تتضـمن تبـادل التكنولوجيـات العسـكرية وتزويـد أسـتراليا بغواصـات نوويـة أمريكيـة، الأمـر الـذى يشـكل تحـديا لنظـام منـع الانتشـار النـووي، مـن وجهـة نظـر موسـكو، حيـث لـم تشـاطر واشـنطن دولـة أخـرى تقنيـة الـدفع النـووي سـوى مـرة واحـدة عنـدما زودت بريطانيـا بتلـك التقنيـة عـام 1958. كمـا ستصـبح أسـتراليا بحصـولها علـى الغواصـات النوويـة، بـين خمـس دول فـي العـالم تتمتـع بمثـل هـذه القـدرات العسـكرية النوويـة، ويتـيح ذلـك لاسـتراليا الـدخول إلـى نـادى الـدول المالكـة للغواصـات النوويـة، وذلـك فـى إطـار تـوطين التكنولوجيـا بهـا بمـا فيـه الشـق النـووى للمحركـات النوويـة بنسـبة تخصـيب (93 – 97%)، وهـى النسـبة التـى تسـمح بتصـنيع الأسـلحة النوويـة (90% فـأكثر)، ويعتبـر هـذا خيـاراً اسـتراتيجياً لـدول التحـالف الثلاثـة حيـث إنـه كـان مـن الممكـن تعـديل الغواصـات الفرنسـية التـى تـم العـدول عنهـا مـن جانـب اسـتراليا لتعمـل بالطاقـة النوويـة ولكـن بتخصـيب 20%، هـذا فضـلاً عـن أن الغواصـات سـيتم تزويـدها بصـواريخ "تومـاهوك" التـى يمكنهـا حمـل رؤوس نوويـة.[8] ويعنـي ذلـك أن أسـتراليا سـتكون قـادرة علـى بنـاء غواصـات أسـرع تعمـل بالطاقـة النوويـة، يصـعب اكتشـافها مـن خـلال الأسـاطيل البحريـة التـي تعمـل بالطاقـة التقليديـة، وبإمكانهـا أن تظـل فـي الميـاه لأشـهر، فضـلا عـن قـدرتها علـى إطـلاق صـواريخ لمسـافات أطـول محملـة بـؤوس نوويـة، علـى الـرغم مـن أن أسـتراليا تؤكـد إنهـا لا تعتـزم تجهيزهـا بأسـلحة نوويـة. علـى صـعيد أخـر، يـؤدى قبـول واشـنطن بتزويـد اسـتراليا بقـدرات نوويـة إلـى فقـدانها المصـداقية فيمـا يتعلـق بـدعوتها لـدول أخـرى إلـى الإلتـزام الصـارم بنظـام منـع الانتشـار النـووى، ممـا يشـجع دول طامحـة علـى إمتلاك التكنولوجيا والقدرات النووية المؤهلة للإستخدامات غير السلمية بالضرورة.

كـل هـذه الإجـراءات والإجـراءات المضـادة مـن الجـانبين تـدخلهما معـاً، والعـالم أجمـع، فـى معضـلة أمنيـة، وحلقـة مفرغـة مـن التصـعيد، يخشـى معـه الكثيـرين مـن أن تنزلـق الأمـور إلـى مواجهـة نووية، كان مجرد التفكير فيها أو الحديث عنها ضرباً من الخيال حتى وقت قريب.

https://www.idsc.gov.eg/Article/details/8626

9 يوليو 2023

٠٩ يوليو ٢٠٢٣

[1] New START Treaty, U.S. Department of State, https://www.state.gov/new-start/

[2] Основах государственной политики Российской Федерации в области ядерного сдерживания, Указ Президента Российской Федерации № 355, 02.06.2020 г, http://kremlin.ru/acts/bank/45562

[3] Remarks by Secretary of Defense Lloyd J. Austin III at the U.S. Strategic Command Change of Command Ceremony, Dec. 9, 2022, US Department of Defence, https://www.defense.gov/News/Speeches/Speech/Article/3241858/remarks-by-secretary-of-defense-lloyd-j-austin-iii-at-the-us-strategic-command/

[4] Nuclear Posture Review (NPR),October 27, 2022, https://media.defense.gov/2022/Oct/27/2003103845/-1/-1/1/2022-NATIONAL-DEFENSE-STRATEGY-NPR-MDR.PDF#page=33

[5] Заседание коллегии Министерства обороны, 21 декабря 2022, http://kremlin.ru/events/president/news/70159

[6] Путин заявил о договоренности по размещению тактического ядерного оружия в Белоруссии, 25 марта 2023, Известия, https://iz.ru/1488629/2023-03-25/putin-zaiavil-o-dogovorennosti-po-razmeshcheniiu-takticheskogo-iadernogo-oruzhiia-v-belorussii

[7] Лукашенко допустил поставку из России боеприпасов с «настоящим ураном», Газета.ru, 22 марта 2023, https://www.gazeta.ru/army/2023/03/22/16439851.shtml

[8] Страны AUKUS пока не решили, кто будет строить подлодки для Австралии, ТАСС, 28 сентября 2022, https://tass.ru/mezhdunarodnaya-panorama/15898735